المبـــادئ العســكريـة

في ضـــوء القرآن الكـريم

إعداد الدكتور

خالد بن إبراهيم الدبيان

عضو هيئة التدريس بكلية الملك فيصل الجوية



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسل رحمة وهداة للعالمين، ورضي الله عن الصحب الكرام والأئمة العظام، أعلام الهدى ونور التقى. أما بعد:

لقد جاءت الشريعة الإلهية لتحقيق العبودية لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦], وتعبد الله في أرضه وإقامة شرعه في الناس يقتضي مبدأ الترغيب والترهيب وهو منهج الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٨].

فيذكر تعالى في هذه الآية زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة. والمنذر والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة[١].

وهذه الشريعة الربانية مستلزمة أوامر يجب أن تفعل، ونواهي يجب أن تجتنب وتترك كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**"[٢].

وقد حصر علماء الإسلام أحكام الشريعة وما جاءت لتحقيقه، بضروريات خمس وهي المتفق على رعايتها في جميع الشرائع: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، بحيث لو انحرفت، لم يبق للدنيا وجود، من حيث الإنسان المكلف، ولا للآخرة من حيث ما وعد بها[٣].

ومن لوازم إقامة شرع الله ورعاية هذه الضروريات الخمس أن تختص فئة من الأمة تكون عليها مسؤولية هذا الأمر، وهي ما تسمى بالنيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا[٤].

---

[١] تفسير السعدي -٢١٩

[٢] صحيح البخاري-كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة-باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ-رقم (٦٧٤٤)

[٣] انظر: شرح الكوكب المنير-ابن النجار-٤/٤٤٢.

[٤] السياسة الشرعية-ابن تيمية-٦٢.



ولهذا أنزل الكتاب والميزان فقال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن تيمية عن دلالات هذه الآية: (أخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط. وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا. ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال بعض السلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراء والعلماء)[١].

وهذه الفئة الناصرة للدين بالسنان، هم العسكريون، وبين الفقهاء[٢] رحمهم الله أمثلة الواجبات التي يقومون بها نصرة للمظلوم وانتصاراً للحق وأهله، وحماية لدين الله وحرمات المسلمين.

كما تناول الفقهاء رحمهم الله المسائل الفقهية المتعلقة بالجهاد، وأبانوا الأحكام الفقهية من أركان وواجبات وشروط وآداب في شريعة الجهاد. كما شرح علماء السير والملاحم الغزوات والوقائع العسكرية التي وقعت في عهد الرسول ﷺ وما بعده، ذاكرين أسبابها ونتائجها وتفاصيل وقائعها.

وأما مباحث العقيدة، فلا نجد التصنيف الخاص عن العسكريين كباقي العلوم الأخرى، وإنما يذكر الجهاد مثلاً في كتب العقائد في تأصيله العقدي وأنه ضمن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن حقوق ولاة الأمر، كقولهم: (ونرى الجهاد والجماعة ماضياً إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجباً في طاعة الله تعالى دون معصيته لا يجوز الخروج عليهم، ولا المفارقة لهم)[٣].

ويثبتونه كمسألة عقائدية، كقول الأشعري (ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك)[٤].

وما ذكره العلماء رحمهم الله من تأصيل الجهاد في الاعتقاد من الأمور الغاية في الأهمية فرحمهم الله تعالى، وأما المسائل التفصيلية في كتب العقيدة عن موضوع المبادئ العسكرية عموماً والجهاد فهي قليلة جداً أو قد لا تذكر.

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية –١٥٧/١٨

[٢] انظر: المجموع–النووي–١٥٣/٢٠. والشرح الكبير–ابن قدامه–٤٥٨/١١ و مقدمة ابن خلدون – ٢٧٧/١.

[٣] اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية–ابن القيم–٤٩.

[٤] مقالات الإسلاميين–أبوالحسن الأشعري–٤١/١. وانظر: اعتقاد أهل السنة–أبو بكر الإسماعيلي–٥٠ وعقيدة السلف أصحاب الحديث– إسماعيل الصابوني–٩٢. ولمعة الاعتقاد–ابن قدامة–٣٣. والإبانة–الأشعري–١٩.



أسباب اختيار الموضوع:

لذا أردت أن أبين ومن خلال آيات القرآن المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم، وذلك للأمور التالية:

١. إضافة مبحث في موضوع العقائد يخص العسكريين، وهي فئة مهمة لها أثرها في مجتمعات المسلمين.

٢. بيان شمولية الوحي الإلهي في التربية والتوجيه وأنه المصدر الأساس في ذلك.

٣. جمع ما تفرق من أقوال السلف عن مسائل العقيدة والمتعلقة بالعسكريين.

٤. ربط العسكريين بكتاب الله تعالى تربية وتوجيهاً وفي أعظم مسائل العلم، وهي المسائل الاعتقادية.

٥. توضيح الوسائل التربوية التي ذكرت في القرآن الكريم في التربية العقائدية للعسكريين.



المطلب الأول

تعريف ومفهوم العقيدة والمبادئ العسكرية

بين علماء السلف رحمهم الله تعالى مفهوم ودلالة كلمة العقيدة، مستنبطين ذلك من الكتاب والسنة، وقد قال الشاطبي: (لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه، أن يلتفت إلى أصلها في القرآن، فإن وجدت منصوصاً على عينها أو ذكر نوعها أو جنسها فذاك، وإلا فمراتب النظر متعددة)[١].

ومن هذا المبدأ كان معنى كلمة (عقيدة) في لغة العرب تعني (الجزم) إذ أن العَقْد: العهد والجمع عُقود وهي أَوكد العُهود[٢]. ويستدل لمعنى الجزم بقوله تعالى (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ)[٣]. فالاعتقاد هو عقد القلب على الشيء وإثباته في نفسه[٤].

والمصطلحات الشرعية، منها ما هو توقيفي يسمى باسمه الشرعي، لأن دلالته لا تفهم إلا بهذا المصطلح، ومنها ما يسوغ فيه الاجتهاد، فيقول ابن تيمية عن مسميات المصطلحات الشرعية، أنها تنقسم إلى :

ما أخبر به الشارع أو عرف بخبره.

وإلى ما أمر به الشارع. والذي أخبر به ينقسم: إلى ما دل على علمه بالعقل; وإلى ما ليس كذلك. والذي أمر به: إما أن يكون مستفادا بالعقل; أو مستفادا بالشرع، وإما أن يكون مقصودا للشارع. أو لازما للمقصود.

وضرب ابن تيمية مثالاً على ذلك، فيقول: صنف الشيخ أبو بكر الآجري "كتاب الشريعة" وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة " كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " وغير ذلك . وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان..فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم. وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء الشريعة هي التي يسمي غيرهم عامتها " العقليات " و " علم الكلام " أو يسميها الجميع " أصول الدين " ويسميها بعضهم " الفقه الأكبر " وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب " كتاب السنة " كالسنة لعبد الله بن أحمد والخلال ....

واسم " السنة " و " الشريعة " قد يكون في العقائد والأقوال ; وقد يكون في المقاصد والأفعال. فالأولى في طريقة العلم والكلام والثانية في طريقة الحال والسماع وقد تكون في طريقة العبادات

---

[١] الموافقات–الشاطبي- ٣/٣٧٥.

[٢] لسان العرب–ابن منظور–مادة عقد.

[٣] سورة المائدة–آية رقم (٨٩).

[٤] كتاب التعريفات–الجرجاني–١٥٨–(العقائد).



الظاهرة والسياسات السلطانية. فالمتكلمة جعلوا بإزاء الشرعيات العقليات أو الكلاميات والمتصوفة جعلوا بإزائها الذوقيات والحقائق والمتفلسفة جعلوا بإزاء الشريعة الفلسفة والملوك جعلوا بإزاء الشريعة السياسة.

وأما الفقهاء والعامة فيخرجون عما هو عندهم الشريعة إلى بعض هذه الأمور أو يجعلون بإزائها العادة أو المذهب أو الرأي.

والتحقيق: أن الشريعة التي بعث الله بها محمدا ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة وهذه الأشياء ما خالف الشريعة منها فهو باطل وما وافقها منها فهو حق; لكن قد يغير أيضا لفظ الشريعة عند أكثر الناس..)

ثم يؤكد ابن تيمية على وجوب التقيد بالأوامر الإلهية مهما اختلفت الأسماء، فيقول: (وبما ذكرته في مسمى الشريعة والحكم الشرعي والعلم الشرعي، يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره بل كل ما يصلح له فهو في الشرع من أصوله وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك)[١].

والمراد من عرض ما ذكر لبيان أن كلمة (عقيدة عسكرية) مصطلح من المصطلحات الاجتهادية، كما نجد (العقيدة السفارينية والعقيدة الواسطية والعقيدة الطحاوية) وغيرها من كتب السلف التي تحمل أسماء مؤلفيها أو مكان كتابتها.

تعريف العقيدة العسكرية:

إن مدلول كلمة العقيدة العسكرية عند العسكريين، أنها (تعبر عن نظرة الدولة الرسمية للحرب كظاهرة تاريخية، اجتماعية، تمثل إحدى الوسائل الأساسية لتحقيق سياسة الدولة وأهدافها القومية، وهي تحدد الأسس العامة والمبادئ الرئيسة اللازمة لبناء الإستراتجية العسكرية وتكوينها)[٢].

وفي الوثيقة الجديدة في الاتحاد الفيدرالي الروسي، عرفت العقيدة العسكرية بأنها: هي المبدأ العسكريّ لمجموعة من الرّؤى الرّسميّة، تحدّد التّوجيهات الاقتصاديّة العسكريّة و الاستراتيجيّة العسكريّة و السّياسيّة العسكريّة لتزويد أمن الاتّحاد الفيدراليّ)[٣].

وقد بين ابن خلدون مفهوم العقيدة العسكرية، وذلك في إشارته أن من أسباب انتصار الجيوش قد تكون (في أمور ظاهرة وهي الجيوش، ووفرها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف. ومن أمور خفية وهي إما من خدع البشر وحيلهم في الإرجاف والتشانيع التي يقع

[١]) مجموع فتاوى ابن تيمية-١٩/٣٠٦-٣٠٩.

[٢]) العسكرية الإسلامية-الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان- ٨٢-ط١ الزرقاء مكتبة المنار ١٤٠١هـ. وانظر: قاموس (dod) للمصطلحات العسكريّة. ومعجم المصطلحات العسكرية- (عقيدة). وموقع عاصفة الصحراء -الملحق ب-خالد بن سلطان. وموسوعة السياسية-٤/١٣٥ (عقيدة). و قاموس أطلس الموسوعي (إنجليزي-عربي) doctrine

[٣]) مركز الدراسات السّياسة في روسيا, ١٥ مايو, ٢٠٠٠.



بها التخذيل، وفي التقدم إلى الأماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك.. ومن أمور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب، فيستولي الرهب عليهم من أجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة[1].

إن مفهوم العقيدة العسكرية أو المبادئ العسكرية في القرآن الكريم، والتي ستناولها بالدراسة، تعني مجموعة المبادئ التي استخدمها واستخدمتها جيوش الموحدين، لتوجيه نشاطاتها في سبيل دعم أهدافها ومبادئها. لأن العقيدة العسكرية، لا يمكن أن تكون عقيدة (جزم وتأكيد) حتى تكون مبادئ وأفكار واتجاهات، التي يعتنقها أفراد الجيش فيما يتعلق بالقضية التي يحاربون من أجلها[2].

وكما أن الجانب المعنوي يدخل أصلاً في مفهوم العقيدة العسكرية، فكذلك تتضمن العقيدة العسكرية الجانب المادي، والتي تشمل المفاهيم المتعلقة بالعلم والفن العسكريين وتطبيقهما في كافة المستويات (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية.

ويستدل على تضمن العقيدة العسكرية النظم الاستراتيجية والعملياتية، ما أخبر الله في كتاب بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤ ﴾ [الصف: ٤]، ويستخرج من هذه الآية: (استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوفاً كصفوف الصلاة وأنه يستحب سدّ الفرج والخلل في الصفوف، وإتمام الصف الأول فالأول، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعض على بعض فيها. ثم إن القتال على هذه الهيئة اليوم من أصول العساكر المحمدية النظامية لا زالت منصورة مؤيدة بالتأييدات الربانية، ومما هو معلوم أن للوسائل حكم المقاصد فما يتوصل به إلى تحصيل الاتصاف بذلك مما لا ينبغي أن يتكاسل في تحصيله)[3].

ومن التنظيم العسكري ما أخبر الله في كتابه عن طريقة الحرب، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ۝٧١ ﴾ [النساء:٧١], فهذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمدﷺ، وأمرٌ لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرَع. ..وأمرهم ألاّ يقتحموا على عدّوهم على جهالة حتى يتحسّسوا إلى ما عندهم، ويعلموا كيف يرِدُون عليهم، فذلك أثبت لهم فعلّمهم مباشرة الحروب[4].

---

[1] مقدمة بن خلدون-١/٣٣٧.

[2] انظر: الفكر العسكري ونظريات الحرب-بسام العسلي- العدد الأول ١٩٩٧م -ص١٢. وتطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية-اللواء الطيار الركن-عبدالرحمن بن حسن الشهري-مكتبة العبيكان-الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٤هـ

[3] روح المعاني -الألوسي- ٢٨/٨٤- دار إحياء التراث-بيروت-لبنان-ط:٤-١٤٠٥هـ

[4] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-٥/٢٧٣- دار الكتب المصرية-ط:٢-١٣٧٢هـ.



ومن التنظيم العسكري، وارتباطه بالجانب العقدي، الوصايا العظيمة التي كان يوصي بها الخليفة أبوبكر الصديق للقادة العسكريين، فمن ذلك وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما بعثه إلى الشام، قال له: (يا يزيد إنكم ستقدمون بلادا تؤتون فيها بأصناف من الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواما قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم، وستجدون أقواما قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد يعني الشمامسة فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا كبيرا هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تخربوا عمرانا ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغدر ولا تمثل ولا تجبن ولا تغلل)[١].

من خلال ما كتبه المتخصصون في الدراسات العسكرية، يمكن حصر تعريف العقيدة العسكرية، وشموليتها بما يلي:

هي: الدليل الأساسي لتنظيم وتدريب القوات على مختلف المستويات.

هي: الدليل الرئيس لإعداد وبناء وتطوير القوات وتجهيزها واستخدامها في الحاضر والمستقبل.

هي: المنطق الأساسي لأية عملية عسكرية تقوم بها القوات مهما كان نوعها أو حجمها.

هي: القاعدة الأساسية لتوحيد جميع مفاهيم العسكريين تجاه استخدام القوات العسكرية للدولة.

هي: السياسة العسكرية المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية لهذه الدولة فيما يتصل بالمسائل والقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها [٢].

صفات العقيدة العسكرية:

وبعد حصر التعريفات للعقيدة العسكرية عند المختصين، نذكر ما جعلوا لها من صفات، من أبرزها:

١) الإلزام، فهي التعبير الرسمي عن الفكر والمعرفة العسكرية التي تعمل بموجبها القوات في زمن معين لإدارة الصراع المسلح لحماية المصالح، وتحدد العقيدة العسكرية الأسس اللازمة لقدرات المعدات والتنظيم والقيادة والتكتيكات والتدريب والإسناد اللازمة لإنجاح العمليات العسكرية وإدامتها[٣].

٢) تحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى في الدولة، أي بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا، وذلك لتحقيق الغايات والأهداف المراد تحقيقها.

٣) تصدر العقيدة العسكرية بعد نتاج مركب لأبحاث علمية ودراسات تاريخية تشمل كافة الأنشطة الحيوية للدولة ككل بغرض خلق وتطوير وجهات النظر الرسمية في الصراع المسلح[٤].

---

[١] السنن الكبرى-البيهقي-٩٠/٩- المعارف العثمانية-حيدر آباد-الهند-ط:١-١٣٥٦هـ

[٢] انظر: العقيدة العسكرية-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ-٢٣-دار الاعتصام-القاهرة-١٩٧٦م. وتطور العقائد العسكرية -اللواء الطيار الركن عبدالرحمن الشهري-٨٠. والاستراتيجية السياسية والعسكرية - العماد مصطفى طلاس-٤٩٣/١- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق-ط١-١٩٩١.

[٣] العقيدة العسكرية-٢٣-اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ.

[٤] انظر: الاستراتيجية السياسية والعسكرية -مصطفى طلاس-٤٩٣/١.



٤) تتحول عناصر العقيدة العسكرية للدولة إلى قوانين ومبادئ ونظريات تدرس لقادة ورجال الجيش في الكليات والمعاهد والمدارس العسكرية المختلفة، كما يتم التدريب عليها في وقت السلم سواء في خلال التدريب اليومي أو المناورات السنوية، وأخيراً تطبق هذه القوانين والمبادئ والنظريات عملياً في الحرب إذا نشبت بين دولة وأعدائها(١).

٥) العقيدة العسكرية هي المحرك الأساسي للقوات، لذا أصبح تفوق القوات المقاتلة على أرض المعركة، يعتمد على تفوق العقيدة التي يدين بها أفراد القوات، لأنها عامل نفسي يقود الأفراد – فرادى أو مجتمعين – إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من المواقف الرئيسية التي تحتاج إلى ثبات وتضحية، في الوقت الذي تكون فيه بقية عوامل النجاح من خبرة وتنظيم متساوية(٢).

٦) تأسس العقيدة العسكرية لكل دولة وذلك بناء على مبادئ ودين الدولة، ولا يتصور أن تتبنى الدولة مبادئ وقيم، ثم تصدر عقائد مخالفة لمبادئها وقيمها لقادة الجيش، ويتدرب عليها قواتها(٣).

---

(١) انظر: العقيدة العسكرية–اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ–٢٣.

(٢) انظر: علم النفس العسكرية –عبداللطيف حسين فرج وعز الدين جميل عطية–٤٣٠–دار الشروق– جدة– الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) العسكرية العربية الإسلامية–اللواء الركن محمود شيت خطاب–٥٤–مؤسسة الرسالة–الطبعة الثانية–١٤٠٥هـ.



المطلب الثاني

أهمية تربية الجند على العقيدة الصحيحة

قبل عرض المبادئ العسكرية في القرآن الكريم، أبين أهمية تربية الجند عليها لنزداد قناعة بضرورة تربية العسكريين تربية عقائدية لا تربية تبعية. وتتأكد هذه القناعة حينما نعلم أن المؤامرة على الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً مؤامرة عقائدية.

لقد أكد منظري الغرب العسكريين أن عقائدهم العسكرية في تطوير مستمر من أجل استراتيجية الحروب والتنظيم، وقرروا بأن الوظيفة العسكرية عندما تحتاج إلى تحسين، فإن أحد المناظير تشمل مراجعة العقيدة القابلة للتطبيق. وتعطي العقيدة الحالية توجيهاً من أجل تقييم الهجوم والحظر الاستراتيجي(١).

لهذا وغيره كان لزاماً تربية العسكريين على العقيدة المبنية على الكتاب والسنة، ومن أبرز ما يجب أن يربى عليه العسكريون في العقيدة الصحيحة ما يلي:

١. توحيد مصدر التلقي:

يربى العسكريون على أن التوجيه الوحيد الذي لا يقبل الرد هو الكتاب والسنة، وأنهما مرجع التحاكم وفاصل النزاع قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٢).

أمرنا الله تعالى باتباع ما أنزل إلينا من ربنا وباتباع ما يأتي منه من الهدى وقد أنزل علينا الكتاب والحكمة كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٣١]. وبعد أن نقل ابن تيمية بعض الآيات الدالة على هذا المعنى، قال: (فهذه النصوص توجب إتباع الرسول وإن لم نجد ما قاله منصوصا بعينه في

(١) المجلة المهنية للقوات الجوية الأمريكية-بالعربية- ٤٥-صيف ٢٠٠٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير-٦/٤١٩، وتفسير الطبري-٢٢/٩.



الكتاب كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب وإن لم نجد ما في الكتاب منصوصا بعينه في حديث عن الرسول غير الكتاب. فعلينا أن نتبع الكتاب وعلينا أن نتبع الرسول واتباع أحدهما هو إتباع الآخر; فإن الرسول بلغ الكتاب والكتاب أمر بطاعة الرسول. والأحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في وجوب اتباع الكتاب وفي وجوب اتباع سنته ﷺ كقوله: "**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا وإنه مثل القرآن أو أعظم**"[1].

٢. تصحيح المقصد في التدريب والجهاد:

إن الإخلاص مقام عظيم، ومنزلة جليلة، وكانت الجاهليات تربى جنودها على منازل دنيوية كما يفهم من السؤال الموجه للرسول ﷺ: عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: "**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّهِ**"[2]. وقد جاء التوجيه الرباني بتصحيح المقصد لعساكر المسلمين بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

ولما زلت مقاصد بعض الصحابة رضي الله عنهم وعفا الله عنهم، في غزوة أحد بعد أن أصبحت من أجل الدنيا، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ونقل المفسرون أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما كنت أظن أحدا من أصحاب محمد يريد الدنيا. حتى نزلت هذه الآية)، فكانت النتيجة تغيير مسار المعركة من نصر إلى هزيمة، لأن المقصد عند البعض تغير {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} يعني بذلك جلّ ثناؤه: (ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم، وفي أنفسكم من هزيمتكم إياهم، وظهوركم عليهم، فردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي، ومخالفتكم طاعته،

[1]) مجموع فتاوى ابن تيمية-١٩/٨٢-٨٥. والحديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم-باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ-برقم (٢٥٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

[2]) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا- برقم (٣٥٢٥).



وإيثاركم الدنــيا علــى الآخرة، عقوبة لكم علــى ما فعلتــم، لــيبتلــيكم، يقول: لــــيختبركم، فــيتــميز الــمنافق منكم من الــمخــلص، الصادق فــي إيــمانه منكم)[١].

٣. الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة، ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لمــا يريــد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقــديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المــسطور، خلــق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته .. ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلــم أن لله علينــا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل[٢].

ونزلت آيات كريمة تربي الجنود على الإيمان بالقضاء والقدر، وتنهى عن الاعتراض على أقدار الله، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فيخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفــار، أنهم يقولون لــمن غزا منهم فقتل أو مات فــي سفر خرج فــيه فــي طاعة الله أو تــجارة: لو لــم يكونوا خرجوا من عندنا، وكانوا أقاموا فــي بلادهم ما ماتوا وما قتلوا. يقولون ذلك، كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا فــي قلوبهم وغمًّا، ويجهلون أن ذلك إلــى الله جلّ ثناؤه وبــيده)[٣].

فقررت هذه الآية أن: (بيده سبحانه وتعالى الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يمــوت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره، وعلمه وبصره نافذ في جميع خلقه، لا يخفى عليه من أمورهم شيء)[٤].

وتتحقق الحياة السعيدة للمسلم حينما يجتمع في عقيدة القضاء والقدر الرضا و الــصبر، والفــرق بينهما، أن الصبر كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك وكــف الجــوارح عن العمل بمقتضى الجزع. وأما الرضا فهو انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألــم وإن وجد الإحساس بألم لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة[٥].

[١]) تفسير الطبري-٨١/٤.
[٢]) لمعة الاعتقاد –ابن قدامه-١٩/١.
[٣]) تفسير الطبري-٩٦/٤.
[٤]) تفسير ابن كثير-١٢٧/٢.
[٥]) جامع العلوم والحكم-ابن رجب الحنلي-شرح حديث التاسع عشر-١٦٠



وقد جمع النبي ﷺ بين الرضا والصبر بقوله: "**واعلم أن النصر مع الصبر**"[1]، وجاء في بعض الآيات هذا التوافق قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وإذا ربي العسكريون على هذه المعاني في القضاء والقدر فإنهم لا يرضون الدنية لدينهم، ويؤمن الواحد منهم من الانهزامية المعنوية والحسية، ويرتبط قلبه بربه.سبحانه وتعالى.

٤. السمع والطاعة في المعروف:

يؤكد علماء السلف رحمهم الله تعالى على السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ويذكرون هذا التأكيد موصلاً في أبواب الجهاد، مستدلين بما ثبت عن عُبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايَعَنا، فكان فيما أخذ علينا: "**أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**"[2].

ومن تمام فقه الإمام مالك أنه أورد هذا الحديث في كتاب الجهاد[3].

وقال الحسن في الأمراء: (هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون،مع أن–والله–إن طاعتهم لغيظ، وإن فرقتهم لكفر)[4].

ويجمع السلف رحمهم الله على وجوب الخروج مع الولاة في الجهاد والسمع والطاعة لهم، قال ابن تيمية: (من أصول أهل السنة والجماعة، الغزو مع كل بر وفاجر؛ فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور؛ فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام؛ وإن لم يمكن إقامة جميعها.

---

[1] مسند الإمام أحمد–١٨/٥–برقم (٢٨٠٣) حديث صحيح. انظر سلسلة الأحاديث ٤٩٦/٥.

[2] صحيح البخاري–كتاب الفتن– باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي– برقم(٦٥٣٢).

[3] المنتقى شرح الموطأ–الباجي– ١٥٩/٣–مطبعة السعادة–مصر–ط:١–١٣٣٢هـ

[4] جامع العلوم والحكم–ابن رجب الحنبلي–شرح حديث الثامن والعشرون–٢٢٥.



وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة**"[١] إلى غير ذلك من النصوص التي أنفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم)[٢].

وهذا ما قرره علماء الأمة بأن الجهاد ماض مع كل إمام براً كان أم فاجرا، والجهاد ماضٍ منذ بعث اللَّه محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجالَ؛ لا يبطله جور جائرٍ ولا عدل عادلٍ. و وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ برهم وفاجرهم مما لم يأمروا بمعصية اللَّه[٣].

٥. الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين:

من أهم مقتضيات عقيدة الولاء البراء، الجهاد في سبيل الله لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان. ومن الآيات التي تقرر مبدأ الولاء والبراء على أسس شرعية، وعقيدة صحيحة، قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال ابن تيمية عند هذه الآية: (جعل الله لأهل محبته علامتين: إتباع الرسول; والجهاد في سبيله. وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح; ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان . وقد قال تعالى:{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم} إلى قوله:{حتى يأتي الله بأمره} فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد. فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض)[٤].

وثبت في الأحاديث الصحيحة قال النبي ﷺ: "**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**"[٥].

---

[١] صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة-برقم (٣٥٤٤).

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية- ٥٠١/٢٨.

[٣] الدرر السنية في الأجوبة النجدية- ٣٢/١-٣٣. وانظر: لمعة الاعتقاد -٣٢/١. وشرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز الحنفي. والموافقات-الشاطبي-٦/١.

[٤] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٩١/١٠-١٩٢.

[٥] صحيح البخاري-كتاب الآداب-باب الحب في الله-رقم الحديث (٥٥٨١).



إن من معاني هذا الحديث: (أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس؛ لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله، ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه)[1].

وقد حرص النبي ﷺ على تربية الجنود الأوائل على البعد عن الانتماء الجاهلي، وأن يعتقدون في سلوكياتهم الولاء الشرعي، فعن أبي عقبة وكان مولى لأهل فارس قال: شهدت مع النبي ﷺ يوم أحد فضربت رجلا من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فبلغت النبي ﷺ فقال: "**ألا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري**"[2].

إن الآية السابقة فيها تقرير الجواب الذي ذكره في الآية الأولى وهي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣]، وذلك لأن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ وأن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين. فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون، حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة)[3].

لقد أوضحت الآية الكريمة بالتصريح والتلميح، أن مسألة الولاء والبراء أساسه الدين دون أي اعتبارات أخرى، ولإزالة مما قد يظهر للمسلمين على مر الدهور في المساومة على عقيدة الولاء والبراء بينت الآية التالية بطلان منهج التمييع العقدي، أو المساومة عليها، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها اللّه بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل اللّه، وتركوا أوطانهم للّه لأجل الجهاد في سبيل اللّه،وبين الأنصار الذين آووا رسول اللّه ﷺ

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري-ابن حجر-١٠/٤٧٨.

[2] سنن ابن ماجه-كتاب الجهاد-باب النية في القتال-برقم (٢٧٧٤).

[3] التفسير الكبير-الرازي-١٦/١٨.



وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال،فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء[١].

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام. وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال[٢].

٦. الثبات حتى الممات:

إن حفظ الثغور وحماية الأنفس والأعراض، والصبر على منازلة الأعداء وتحمل المشاق في الحروب والاستعداد لها، يستلزم لهذه الأمور وغيرها إيماناً صادقاً، وأنفساً تأبى التنازل عن مبادئها، لهذا جاء تحريم الخيانة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، في سياق آيات الجهاد.

وكان التولي عن العدو والهروب يوم الزحف في مصاف الشرك بالله، كما ثبت في الحديث: "**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**"[٣] قال النووي: (وأما عده ﷺ التولي يوم الزحف من الكبائر فدليل صريح لمذهب العلماء كافة في كونه كبيرة)[٤].

وقد حرم الله في كتابه الانهزامية من مقابلة الأعداء، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥].

إن التولي يوم الزحف على إطلاقه يستحق هذا التشديد لضخامة آثاره الحركية من ناحية؛ ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية، إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخا ثابتا لا تهزمه في

[١]) تيسير الكريم الرحمن-السعدي-٢٨٨- -مؤسسة الرسالة-ط:١-١٤٢٠هـ.

[٢]) انظر عن موضوع الولاء والبراء: جامع الرسائل -ابن تيمية-٣٧٣/١. والولاء والبراء -محمد بن سعيد القحطاني-دار طيبة-الرياض-ط١. والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية-محماس بن عبدالله الجلعود-دار اليقين-المنصورية-ط١ -١٤٠٧هـ. والرحيق المختوم-صفي الرحمن المباركفوري-٢٨٢.

[٣]) صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب رمي المحصنات-رقم الحديث(٦٣٥١).

[٤]) شرح صحيح مسلم-النووي-كتاب الإيمان-بيان الكبائر وأحكامها.



الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة-وهو يواجه الخطر- فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفرارا.

والآجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفا على الحياة. وليس في هذا تكليف للنفس فوق طاقتها. فالمؤمن إنسان يواجه عدوه إنسانا، فهما من هذه الناحية يقفان على أرض واحدة. ثم يمتاز المؤمن بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها. ثم إنه إلى الله إن كان حياً، وإلى الله إن كتبت له الشهادة. فهو في كل حالة أقوى من خصمه الذي يواجهه وهو يشاق الله ورسوله[1].

وجاء الثناء الإلهي لمن وفاء بما عاهد عليه الله، بقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، دلت هذه الآية على أن من المؤمنين رجالاً أدركوا أمنيتهم، وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا، {وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ} فإنهم مستمرّون على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال لعدوّه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل، وإدراك فضل الشهادة، وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم، بل ثبتوا عليه ثبوتاً مستمراً[2].

[1]) في ظلال القرآن-سيد قطب- ١٤٨٩/٣.

[2]) فتح القدير-الشوكاني- ٢٧٢/٤-دار المعرفة-بيروت-لبنان



المطلب الثالث

المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم

لقد بين سلف الأمة عليهم رحمة الله تعالى مسائل الإيمان في كتب الاعتقاد، كما بينوا القواعد والأسس التي تبنى عليها منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان، كما قاموا بالرد على أهل البدع ممن خاض في مسائل الإيمان بغير الوحي الإلهي والهدي النبوي، فكان طريقتهم رحمهم الله بيان ودلالة، ورد للشبهات والأباطيل[١].

وبتتبع بعض الآيات القرآنية والتي تتناول توجيه وإرشاد الجنود الأوائل رضي الله عنهم، نجد النص على مسائل في الإيمان، ومن أبرز هذه المسائل ما يلي:

أولاً) الإيمان بالقضاء الله وقدره:

الإيمان بالقضاء من أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل الطويل وفيه: "..**قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت**"[٢]، ولقد جاء التوجيه الرباني، تربية وإرشاداً للعسكريين على الإيمان بهذا المعتقد.

ومن صور تربية القرآن للعسكريين على هذا المعتقد، الأمور التالية:

١. الآجال مكتوبة:

ربى القرآن الكريم العسكريين أن منازلة الأعداء، لا تقدمهم إلى الموت، كما أن الفرار من الزحف أو ترك الجهاد لا يبعدهم عن الأجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت، فأما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال[٣].

لقد وعى القادة العسكريين هذا المعنى، فنجد الخليفة أبوبكر الصديق يوصي قائده خالد بن الوليد رضي الله عنهما حين بعثه إلى أهل الردة، بقوله: (احرص على الموت توهب لك

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية-٢١/١٤٢.

[٢] صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان-رقم(٩).

[٣] تفسير الطبري-٦/١٠٨.



الحياة)[1]. وفقه القائد هذا التوجيه ففي رسالة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل الحيرة: (أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم)[2].

٢. الحذر لا يمنع القدر:

وتأكيداً بأن الآجال مكتوبة فقد ربى القرآن العسكريين على أن الحذر من الاحتماء بالحصون أو الفرار منن الزحف، أو ترك الجهاد أو غير ذلك لا ترد القدر.

لقد نزلت آيات كريمات تربي وتحذر العسكريين أن يتصفوا بصفات أهل النفاق بالاعتراض على القدر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

تبين هذه الآية الكريمة قول هؤلاء الكفار، أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة: لو لم يكونوا خرجوا من عندنا، وكانوا أقاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا..والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء، والمميت من يشاء كلما شاء دون غيره من سائر خلقه. وهذا من الله عزّ وجلّ ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوّه، والصبر على قتالهم، وإخراج هيبتهم من صدورهم، وإن قلّ عددهم، وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله، وإعلام منه لهم أن الإماتة والإحياء بيده، وأنه لن يموت أحد ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذي كتب له، ونهي منه لهم إذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قُتل منهم في حرب المشركين[3].

ثانياً) معية الله تعالى لعباده المجاهدين:

لقد ربى القرآن الكريم العسكريين بأن ربطهم بخالقهم سبحانه وتعالى، ودلت آيات القرآن على معية الله لهم، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ

[1] وفيات الأعيان- (ج ٣ / ص ٦٧ وانظر: السنن الكبرى-البيهقي- ٩ / ١٧٩.

[2] البداية والنهاية- (ج ٦ / ص ٣٧٧

[3] تفسير الطبري-٦/١٨٠.



ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

إن معية الله تعالى للعسكريين هي من المعية الخاصة، إذ إن الله مع جميع خلقه (بعلمه سبحانه كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة:٧]. قال ابن تيمية: (والمعية معيتان: عامة وخاصة. فالأولى قوله تعالى: {وهو معكم أين ما كنتم}، والثانية قوله:{إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١].

وللعناية الإلهية بالعسكريين الموحدين كانت المعية الخاصة شاملة لهم، ومن المبادئ العقائدية في مسألة المعية، أن يستشعر العسكري بأن الله الذي وصف نفسه سبحانه: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾، تؤيده وتنصره، كما تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لأعمالهم، فهي مقتضية لتخويف العباد منه، فمن حفظ الله، وراعى حقوقه، وجده أمامه وتجاهه على كل حال، فاستأنس به، واستغنى به عن خلقه[٢].

ومن معاني النصرة والتأييد للعسكريين في القرآن الكريم، ما يلي:

١. الإمداد بالملائكة:

إن من معية الله للعسكريين في بدر أمدهم الله بملائكته للمشاركة في القتال مشاركة معنوية وهو التثبيت، ومشاركة حسية وهو القتال، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

٢. إلقاء الرعب:

إن من تأييد الله للعسكريين ومعيته لهم، إنزال الرعب في قلوب الأعداء، ومعنى:الرُّعْبُ: الخوف. رَعَبْتُ فلاناً رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب مُرْتَعِبٌ، أي: فَزِع[٣]. وجاءت كلمة الرعب في

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية-٥/١٢٢.

[٢] جامع العلوم والحكم –ابن رجب الحنبلي–شرح الحديث (١٩). (بتصرف)

[٣] كتاب العين – (ج ١ / ص ١١٢–الخليل بن أحمد



القرآن الكريم في أربع آيات تتضمن كلمات الشدة (قذف) و(إلقاء). وهذه العناية والحفظ للعسكريين، (غير مختص بيوم أحد، بل هو عام. قال القفال رحمه الله: كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أن الله تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان. وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل، ونظير هذه الآية قوله ﷺ: "**نصرت بالرعب مسيرة شهر**"[١].

٣. تقليل العدد في الأبصار:

من آثار معية الله للعسكريين تقليل العدد في الرؤية البصرية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٤]. ومعنى الآية: أي واذكروا وقت إراءتكم إياهم حال كونهم قليلاً، حتى قال القائل من المسلمين لآخر: أتراهم سبعين؟ قال: هم نحو المائة. وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم: إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين، كما قال: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣]. ووجه تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلاً أقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيراً فيفشلون، وتكون الدائرة عليهم، ويحلّ بهم عذاب الله وسوط عقابه[٢].

٤. إرسال الريح:

ومن معاني المعية للعسكريين إرسال الريح، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩]، يذكر الله منته لعباده المجاهدين ونعمته عليهم بأن أرسل ريحاً على المشركين في غزوة الأحزاب، وبأمر الله وقدرته جرت هذه الرياح، قال ابن تيمية: (كان عام الخندق برد شديد وريح شديدة منكرة بها صرف الله الأحزاب عن المدينة كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾)[٣]. وكانت الهزيمة للمشركين.

---

[١]) تفسير الرازي- ١٣١/١٥.

[٢]) فتح القدير-الشوكاني-٣١٣/٢-٣١٤..

[٣]) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٦ / ص ٤١٩



٥. إنزال السكينة:

من المبادئ العقائدية للعسكريين ما تتضمنه معية الله الخاصة، بأن أنزل الله السكينة في قلوبهم كما قال: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨]، والسكينة التي نزلت تعني طمأنينته وثباته على رسوله ﷺ والذين معه[١].

قال ابن تيمية: (وكان المسلمون على عهد نبيهم ﷺ وبعده، لا يعرفون وقت الحرب إلا السكينة، وذكر الله سبحانه)[٢].

إن المسلمين على مجرى العادة لزم أن يوجد منهم أحد الأمرين: إما إقدام، وإما انهزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فالعدو الآخر إن كان مثله في القوة يغضب أيضاً وهذا يثير الفتن، وإن كان أضعف منه ينهزم أو ينقاد له، فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا، وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى.

ثالثاً) التخلق بأخلاق أهل الإيمان:

الإيمان شعب كثيرة كما ثبت في الحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**"[٣]، وثبت أن هذه الشعب لها أعلى ولها أدنى كما ثبت: "**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**"[٤].

ومما يتعلق في بحثنا عن من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم أن حماية الدين ونصرته، لا تعني بالضرورة الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، كما أنها لا تعني المخادعة والمكر. وقد نزلت آيات قرآنية توجه العسكريين بالتخلق بأخلاق أهل الإيمان، وتلزمهم بضوابط الشريعة.

ومن أبرز الأخلاق الإيمانية التي يلزم العسكري التعبد بها، ما يلي:

---

[١] تفسير ابن كثير-٧/٣٢١.

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - (ج ١ / ص ٢٧٧

[٣] صحيح البخاري-كتاب الإيمان-باب أمور الإيمان-رقم (٨).

[٤] صحيح مسلم-كتاب الإيمان-باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها-رقم (٥١).



١. تحريم الظلم:

قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، إن التوجيه الإلهي في هذه الآية للعسكريين بأن: "**لا تقتلوا وليدًا ولا امرأةً، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابَين والمجوس**"، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حَرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم[١]، ومن أقوى أسباب عدم تولي الولايات على الناس الظلم، ولهذا لما ابتلى نبي الله إبراهيم ﷺ بالإمامة، طلب من ربه أن تستمر الإمامة في ذريته، فقال الله له: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، إن من معاني هذه الآية أن لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آلته الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها)[٢].

٢. النفقة في الجهاد وتجهيز الغازي:

التحرر من الشح وحب المال من أبرز الصفات التي يجب أن يتصف بها العسكريون، كما أن بذل المال من صفات أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

---

[١] تفسير السعدي-٧١.

[٢] تفسير الطبري-٢/٤٩٨.



ولهذا كان التوجيه القرآني بقوله: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ وَأَحۡسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ثبت في الصحيح عن حذيفة ﷺ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ۛ﴾، قال: نزلت في النفقة[١].

وقد عدد الله بعض خصال المجاهدين الأوائل وما رتب عليها من الأجر العظيم فقال تعالى: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١ ﴾ [التوبة: ١٢١].

وثبت في السنة الحث على نفقة المجاهدين، فعن زيد بن خالد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا**" [٢].

إن مضمون الآية الأمرُ بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القُرُبات ووجوه الطاعــات، وخاصّة صرفَ الأموال في قتال الأعداء وبذلهَا فيما يَقْوَى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار إن لزمه واعتاده[٣].

٣. تحريم الخيانة:

أداء الأمانة من صفات أهل الإيمان، وقد عد أبو يعلى: من شعب الإيمان: (بأن يكون مأموناً على كل مال وعرض وأمانة)[٤].

وضد الأمانة الخيانة والتي هي من علامات أهل النفاق، ومن المبادئ العقائدية للعسكريين التحذير من الخيانة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ففي هذه الآية (أنه تعالى أمرهم أن لا يخونوا الغنائم، وجعل ذلك خيانة له، لأنه خيانة لعطيته وخيانة لرسوله لأنه القيم بقسمها، فمن خانها فقد خان الرسول ﷺ، وهذه الغنيمة قد جعلها الرسول ﷺ أمانة في أيدي الغانمين وألزمهم أن لا يتناولوا لأنفسهم منها شيئاً فصارت وديعة، والوديعة أمانة في يد المودع، فمن خان منهم فيها فقد خان أمانة الناس، إذ الخيانة ضد الأمانة)[٥].

---

١) صحيح البخاري–كتاب تفسير القرآن–باب قوله (وأنفقوا في سبيل الله)–رقم (٤١٥٤).
٢) صحيح البخاري–كتاب الجهاد والسير–باب فضل من جهز غازيا–رقم (٢٦٣١).
٣) تفسير ابن كثير–١٧١/٤.
٤) مسائل الإيمان–القاضي أبويعلى–٢٠٧–دار العاصمة–الرياض–ط:١–١٤١٠هـ
٥) تفسير الرازي–١٥١/١٥.



٤. نصرة المظلوم:

من الصفات الإيمانية التي ربى القرآن الكريم العسكريين عليها نصرة المظلوم، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء: ٧٥].

ففي هذه الآية يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة، من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها؛ ولهذا قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ } يعني: مكة. ثم وصفها بقوله: { ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} سخر لنا من عندك وليا وناصرا. وثبت عن ابن عباس أنه قال: (كنت أنا وأمي من المستضعفين) [١].

ولأهمية نصرة المظلوم نجد أن الإمام محمد بن عبدالوهاب اعتبر خذلان المظلوم من الكبائر[٢]. ونصرة المظلوم من أبرز من يقوم بها من ولاه الله ولاية شرعية على المسلمين، وهم العسكريين[٣].

٥.الوفاء بالعهد:

إن نقض الوفاء بالعهود تعتبر من الكبائر المؤثرة في الإيمان[٤]. ومن تربية القرآن العقائدية للعسكريين تربيته على الوفاء بالعهود، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦]، وهذا الأمر بالوفاء مع المستجير لا يخص الرسول ﷺ بل هو أمر عام للأمة، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام اللّه[٥]. وكتب عمر بن عبد العزيز بذلك إلى الناس: (قال الأوزاعي: هي إلى يوم القيامة)[٦].

---

[١] تفسير ابن كثير-٣١٤/٢. انظر: صحيح البخاري-كتاب التفسير-باب تفسير (ومالكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين)-رقم(٤٢٢٢).

[٢] كتاب الكبائر-محمد بن عبدالوهاب-٢١٥.

[٣] انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام-الشهرستاني-١٦٨. و فتح الباري-ابن حجر-٩٩/٥

[٤] انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر—كبيرة ٥٣. وشعب الإيمان-البيهقي-شعبة٥٤.

[٥] انظر: تفسير السعدي-٢٩٠

[٦] المغني-ابن قدامة-



ومعنى آية وفاء المستجير كما قال أهل التفسير: (إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاء. ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدًا أو في رسالة.

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه[١].

وقد تربى الجنود الأوائل على الوفاء بالعهد فمن ذلك أن معاوية كان بينه وبين أهل الروم عهد وكان يسير في بلادهم حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة، فسأله معاوية عن ذلك، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشدنه، حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء**" قال: فرجع معاوية بالناس[٢]. (وَإِنما كَرِهَ عَمْرُو ذلكَ لأَنَّهُ إذا هادنهُمْ إلى مُدَّةٍ وَهو مُقِيم فِي وطنه, فقد صارت مدَّةُ مسيره بعد انقضاءِ الْمدة المضروبة كالمشروط مع المدَّةِ في أن لا يغزوهم فيها, فإذا صار إليهم في أيام الهدنة كان إيقاعه قبل الوقت الذي يتوقعونه فعد ذلك عمرو غدراً)[٣].

رابعاً) القصد من الجهاد إعلان كلمة الله:

إن مقاصد المكلفين لها منزلة عظيمة عند رب العالمين، بل هي محل نظر الخالق عز وجل، وثبت في الحديث قول النبي ﷺ: "**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**"[٤].

قال ابن تيمية: (أصل العمل الصالح هو إخلاص العبد للّه في نيته، فإنه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الخلق لعبادته، وهي دعوة الرسل لكافة بريته، كما ذكر ذلك في كتابه على ألسنة رسله بأوضح دلالته)[٥].

---

[١] تفسير ابن كثير -٤/٥٥

[٢] سنن الترمذي- كتاب السير-باب ما جاء في الغدر-رقم(١٥٠٦)وقال حسن صحيح.

[٣] شرح السنة-البغوي-١١/١٦٦-١٦٧.

[٤] صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي-باب بدء الوحي-رقم (١)

[٥] مجموع فتاوى ابن تيمية-١٨/٢٤٤.



فمن أوائل المبادئ العقائدية للعسكريين أن يخلصوا في قتالهم وفي سائر أعمالهم، وقد جاء التوجيه الإلهي بقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ففي هذه الآية يوجه الخالق سبحانه العسكريين أن مقصد الجهاد هو أن يقاتلوا المشركين: حتى لا تَكُونَ فتنةٌ يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان الآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان[١].

ومن معاني تحقيق هذا المقصد قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥].

هذه الآية أوضحت للعسكريين أن القتال كان بسبب الكفر، فإذا زال السبب ينهى عن قتالهم، فقوله: {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ } تابوا عن الشرك الذي هو سبب القتل، وحققوا التوبة بفعل ما هو من أعظم أركان الإسلام، وهو إقامة الصلاة، وهذا الركن اكتفى به عن ذكر ما يتعلق بالأبدان من العبادات، لكونه رأسها، واكتفى بالركن الآخر المالي، وهو إيتاء الزكاة عن كل ما يتعلق بالأموال من العبادات، لأنه أعظمها {فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ} اتركوهم وشأنهم، فلا تأسروهم، ولا تحصروهم، ولا تقتلوهم[٢].

ولتربية العسكريين على تصحيح المقصد قال: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].
فقوله: { إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} تعليل للنهي المذكور قبله، ليس ما تجدونه من ألم الجراح ومزاولة القتال مختصاً بكم، بل هو أمر مشترك بينكم وبينهم، فليسوا بأولى منكم بالصبر على حر القتال، ومرارة الحرب، ومع ذلك فلكم عليهم مزية لا توجد فيهم، وهي: **أنكم ترجون من الله من الأجر، وعظيم الجزاء مالا يرجونه لكفرهم وجحودهم**، فأنتم

---

(١) تفسير الطبري-٣/٢٩٩.

(٢) فتح القدير-الشوكاني-٢/٣٣٦.



أحقّ بالصبر منهم، وأولى بعدم الضعف منهم، فإن أنفسكم قوية؛ لأنها ترى الموت مغنماً، وهم يرونه مغرماً[١].

وقد كان للفقهاء اهتمام بشرح آداب الجهاد، ومن أكد الآداب، تصحيح المقصد، فعند شرح: "**أغزوا باسم الله**" قالوا: ليكن خروجكم لابتغاء مرضاة الله تعالى لا لطلب المال فالمجاهد يبذل نفسه وماله فإنما يربح على عمله إذا قصد به ابتغاء مرضاة الله تعالى. فأما إذا كان قصده تحصيل المال فهو كرة خاسرة[٢].

خامساً) التوكل والاعتماد على الله:

بتدبر الآيات القرآنية والتي تتضمن معاني الجهاد في سبيل الله، نلحظ الارتباط الكبير بين موضوع الجهاد وعقيدة التوكل والاعتماد على الله، مثال ذلك ما أخبر الله عن نبيه موسى ﷺ مع قومه، بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ** إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣]. وبقوله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

والتوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله[٣].

---

[١]) فتح القدير-الشوكاني-١/٥١٠.

[٢]) المبسوط-السرخسي-١٠/٢.

[٣]) القول السديد شرح كتاب التوحيد-السعدي-١٢٢.



وبهذه المعاني العظيمة في موضوع التوكل يتربى العسكريون، كما وصفهم الله بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال ابن عباسٍ ﵁: {حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ} قالَها إبراهيمُ عليه السلامُ حينَ أُلقِيَ في النار، وقالَها محمدٌ ﷺ حينَ قــالوا: {إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ}[1].

ولا يعني التوكل على الله ترك فعل الأسباب، بل من حقيقة التوكل فعل الأسباب، (والثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماض، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بدّ منه من الأسباب، من مَطعم ومَشرب وتحرّزٍ من عدوّ وإعدادِ الأسلحة، واســتعمالِ مــا تقتــضيه ســنة الله تعــالى المعتادة[2].

فحقيقة التوكل الاعتماد على الله مع بذل الأسباب، وقد أخذ بعض العلماء من قوله تعــالى في هذه الآية الكريمة: {وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ} ـ أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعا وأنه لا ينافي التوكل على الله. وهذا أمر كالمعلوم من الــدين بالــضرورة. أن الأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعا لا ينافي التوكل على الله بحال؛ لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا مــا يشاء الله وقوعه. فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شــر. ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف[3].

وجاء التوجيه الإلهي بالأمر للعسكريين بفعل الأسباب في أمرين: الأمر الأول: أثناء المقاتلة: وذلك بنزول صلاة الخوف فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [النساء: ١٠٢].

---

[1] صحيح البخاري–كتاب التفسير–(باب إن الناس قد جمعوا لكم)–رقم (٤٤٥٥).

[2] الجامع لأحكام القرآن–القرطبي–٤/٢٧٩..

[3] أضواء البيان–الشنقيطي–٤/٢٥٠.



أوضحت الآية الكريمة طريقة أداء صلاة الخوف، كما تضمنت الآية توجيهات للعسكريين بوجوب أخذ الأسباب أثناء الصلاة والمقاتلة، فيؤدون الصلاة وهي ما أمر الله به أن يؤدوه، ولكن يجب عليهم ألا يضعوا السلاح وأن يأخذوا الحذر من المشركين، وهو من فعل الأسباب والتوكل على الله.

الأمر الثاني: إعداد القوة: فيجب أخذ الأسباب والاستعداد لملاقاة العدو، وما يسمى في العرف العسكري بـ(الجاهزية العسكرية)، ويدل على هذا الأمر قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوّة للأعداء بعد أن أكّد تقدمة التقوى، فإن الله لو شاء لهزمهم بالكلام والتَّفْل في وجوههم وبحَفْنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ ولكنه أراد أن يبتَلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ[1].

سادساً) التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ:

من جوانب المبادئ العقائدية للعسكريين في القرآن الكريم تربيتهم على التسليم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وهي الطاعة المطلقة كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال: ١]. ففي هذه الآية دليل على تربية العسكريين للتسليم والطاعة المطلقة لله ورسوله ﷺ. ولما كانت غزوة بدر الكبرى من أوائل الغزوات التي كسب فيها المجاهدون غنائم اختلفوا في حكمها وطريقة توزيعها، فربهم الخالق عز وجل أمرهم أن يرجعوا هذا الأمر إلى الله ورسوله ﷺ وأن يسلموا له تسليما، فجاء الحكم الإلهي بتوزيع الأنفال.

ومما يلاحظ في تربية القرآن الكريم للعسكريين في طاعة الله والرسول ﷺ ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: أن القرآن الكريم لا يخاطب فرداً من المؤمنين بخطيئته أو ضعفه ولكنه يخاطب المؤمنين جميعاً حين تقع الهفوة من فرد أو جماعة يسيرة.

الملاحظة الثانية: أن التربية القرآنية كانت تربية عملية في ميدان الجهاد، تنزلت الآيات وقلوبهم منصهرة بحوادث المعركة وهي موت واستشهاد، ونصر وغلبة[2].

[1] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي-٣٥/٨-دار الكتب العلمية.

[2] من هدي سورة الأنفال-محمد أمين المصري-٦٢-دار الأرقم-الكويت- (بتصرف).



ولا تنتهي طاعة الرسول بموته ﷺ، بل تستمر طاعته واجبة بعد وفاته، ولهذا فقه السلف هذا الأمر، فقالوا: هو أمر من الله بطاعة رسوله في حياته فيما أمر ونهى، وبعد وفاته في اتباع سنته؛ وذلك أن الله عمّ بالأمر بطاعته ولم يخصص ذلك في حال دون حال، فهو على العموم حتى يخصّ ذلك ما يجب التسليم له[1].

ومن صور تربية القرآن للعسكريين تربية عقائدية، أن ضرب أمثلة بأهل النفاق وما يتميزون به من عصيان لله ولرسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣ ﴾ [النور: ٥٣].

فأهل النفاق (غلظوا الأيمان وشددوها ولم يكتفوا بقول الله {لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ} أي بالخروج للجهاد {قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ} لا تقسموا فإن الطاعة معروفة منكم ومن غيركم لا تخفى فقد جرت سنة الله تعالى على أن العبد وإن اجتهد في إخفاء الطاعة لا بد وأن يظهر سبحانه مخايلها على شمائلها، وكذا المعصية فلا فائدة في إظهار ما يخالف الواقع. {إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ} من الأعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الأكاذيب المؤكدة بالأيمان الفاجرة، وما تضمرونه من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد، والمراد الوعيد بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التي منها نفاقهم[2].

سابعاً) التحذير من إحباط العمل:

إن من تربية القرآن الكريم العسكريين عقائدياً، التحذير من إحباط العمل بشرك أكبر (الردة) أو بشرك أصغر (الرياء)، وتنزيل هذا الأمر الإلهي من أجل أن يكون الجهاد خالصاً لله تعالى، فمما نزل من القرآن الكريم حول هذا التوجيه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

هذه الآية الكريمة تخبر المؤمنين بأن هؤلاء الكفار لا يزالون مستمرين على قتالكم، وعداوتكم حتى يردوكم عن الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك، وتهيأ لهم منكم،ثم حذّر الله سبحانه المؤمنين من الاغترار بالكفار، والدخول فيما يريدونه من ردّهم عن دينهم الذي هو

---

[1] تفسير الطبري-٧/١٧٤.

[2] تفسير روح المعاني- الألوسي-١٨/٢٠٠(بتصرف)



الغاية لما يريدونه من المقاتلة للمؤمنين، فقال: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ} والردة: الرجوع عن الإسلام إلى الكفر، والتقييد بقوله: {فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ} يفيد أن عمل من ارتد إنما يبطل إذا مات على الكفر. وحبط: معناه بطل، وفسد. وفي هذه الآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام[١].

وقد أشار الشنقيطي إلى نكتة مفيدة، عند هذه الآية، فقال:لم يبين هنا هل استطاعوا ذلك أو لا؟ ولكنه بين في موضع آخر أنهم لم يستطيعوا، وأنهم حصل لهم اليأس من رد المؤمنين عن دينهم، وهو قوله تعالى: {اليوم يَئِسَ الذين كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ} وبين في مواضع أخر أنه مظهر دين الإسلام على كل دين كقوله: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى وَدِينِ الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّه}[٢].

لقد ربى القرآن الكريم الجنود الأوائل أن لا يكون لديهم اختراق عقائدي، وهي أعظم زلة – نسأل الله العصمة– الانتقال من الإيمان إلى الكفر، وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان (ليس لمسلم عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه ويقينه، ويرتد عن إيمانه وإسلامه، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه، وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات حتى يأذن الله. والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيراً: إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. وهناك رحمته التي يرجوها من يؤذون في سبيله؛ لا ييئس منها مؤمن عامر القلب بالإيمان[٣].

كما ربى القرآن الكريم العسكريين على التحذير من الردة، فقد رباهم أيضاً على التحذير من الشرك الأصغر، لأن التربية العقائدية تعنى (تحقيق التوحيد وتهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره)[٤].

وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والمعجب

---

[١] تفسير فتح القدير–الشوكاني–١/٢١٧.

[٢] أضواء البيان–الشنقيطي–١/١٤٢.

[٣] في ظلال القرآن–سيد قطب–١/٢٢٠–٢٢٢.

[٤] القول السديد شرح كتاب التوحيد–السعدي–٢٦.



لا يحقق قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فمن حقق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ خرج عن الإعجاب[١].

ويعني بالإعجاب هو: (السرور بالشيء مع نوع الافتخار به، ومع اعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه، وهذه الحالة تدل على استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله، فإنه لا يبعد في حكم الله أن يزيل ذلك الشيء عن ذلك الإنسان ويجعله لغيره، والإنسان متى كان متذكراً لهذا المعنى زال إعجابه بالشيء، ولذلك قال ﷺ: "**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**"[٢]. وروي عن ابن مسعود أنه قال : (الهلاك في اثنين: القنوط، والعجب)[٣] ومن أمثلة التحذير من الشرك الأصغر، قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾[التوبة: ٢٥]. ذكر المفسرون أن أحد الجنود لما رأى كثرة جنود الإسلام، قال: (لن نغلب اليوم بكَثْرة)[٤]، وحدث ما حدث من الانهزام في أول المعركة ثم النصر في نهايتها. وهذا من ذم الإعجاب[٥] بالنفس والركون إليها.

لقد أدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته[٦].

نزلت هذه الآية تذكرهم وتربيهم بإحسان الظن بربهم، وأن النصر والتأييد منه سبحانه، وتحذرهم من العجب بسبب كثرة أو غيرها، فالعجب سبب الخسارة.

ثامناً) التوبة وتكفير السيئات:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم السعي لطلب غفران الذنوب وتكفير السيئات، وهذه المنزلة تتحقق للمجاهد في سبيله، أو من رابط في حماية المسلمين، ومن أمثلة تكفير الذنوب، قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ

---

[١]) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-١٠/٢٧٧.

[٢]) التفسير الكبير-الرازي-١٦/٧٤-دار إحياء التراث العربي. والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١١/٣٠١ الباب الثالث، وفي الأوسط باب الميم-١٢/١٨٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٢:٣٠٨. وقال المنذري: بمجموع طرق فهو حديث حسن. الترغيب والترهيب-١/١٦٢. وسلسلة الأحاديث الصحيحة-الألباني-(١٨٠٢).

[٣]) الكبائر -محمد بن عبدالوهاب-٣٩.

[٤]) تفسير الطبري-١١/٣٨٦.

[٥]) فتح الباري-ابن حجر-كتاب المغازي-باب قول اللَّهِ تَعَالَى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم)-٨/٣٤٣-دار الفكر.

[٦]) مدارك التنزيل-النسفي-تفسير سورة التوبة-دار النفائس.



وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٥].

ومن نذر نفسه لله تعالى لحماية المسلمين، ونازل أهل الكفر والمنافقين، قد يتعرض لضعف الطبيعة البشرية، ومن أكثر ما يخذل العسكر ذنوبهم، وما حدث للجنود الأوائل في غزوة أحد إلا بسبب الذنوب، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

ومما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن كل ابن آدم خطا، والعصمة لا تكون إلا للمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فهذه المبادئ العقائدية للعسكريين تصور لنا أن من نزل ميدان القتال، ليس هو المنقى من الذنوب والعيوب، فمن رحمة الله بهم أنه أخبر في كتابه عن مآل معاصيهم: (لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم، "ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابًا"، جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله)[1].

وهذا ما وقع للثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بلا عذر، فقبل الله توبتهم وكفر ذنوبهم، فبدأت الآية بقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ثم قال: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]. هؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال ابن أمية رضي الله عنهم، وكلهم من الأنصار، لم يقبل النبي ﷺ عذرهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، حتى نزل القرآن بأن الله قد تاب عليهم: {وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ } أي علموا أن لا ملجأ يلجؤون إليه قط، إلا إلى الله سبحانه بالتوبة والاستغفار {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ} رجع عليهم بالقبول والرحمة، وأنزل في القرآن التوبة عليهم ليستقيموا [2].

---

[1] تفسير الطبري –٦/٣١٩.

[2] فتح القدير–الشوكاني–٢/٣٤٧.



تاسعاً) ميزان التفاضل عند الله:

تناولت كتب العقيدة، وكتب السلوك مسألة المفاضلة بين الخلق، وتناولوا المفاضلة بين البقاع والأزمان[1]، والمراد في هذه الفقرة بيان مجال التفاضل عند الله فيما يخص العسكريين .

وفي المبادئ العقائدية للعسكريين، نجد الآيات القرآنية أوضحت مسألة التفاضل بينهم، فقال تعالى مبيناً ميزان التفاضل: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٩٥].
والآية الأخرى الدالة على المفاضلة، قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠]، من خلال تدبر الآيتين الكريمتين نجد أن مجال التفاضل بينهما مختلف، وهو كما يلي:

تنص آية سورة النساء أن مجال التفاضل بين العسكريين، في مجال الجهاد بالمال والنفس، فمن جاهد بماله ونفسه ففضله أعظم ممن لم يجاهد بماله ونفسه.

وأما مجال التفاضل في آية سورة الحديد فهو الإنفاق والجهاد قبل فتح مكة، فمن أنفق وجاهد قبل الفتح فهو أعظم درجة ممن أنفق وقاتل بعد الفتح.

لقد ربى القرآن الكريم العسكريين على المبادرة في الأعمال الصالحة، والحرص على بلوغ أعلى المقامات العظيمة، فجعل معيار التفاضل بينهم عظيم، فالجهاد والإنفاق قبل فتح مكة ليس مثل بعد الفتح، (وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح؛ لأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف، وتقديم الإنفاق على القتال للإيذان بفضيلة الإنفاق لما كانوا عليه من الحاجة، فإنهم كانوا يجودون بأنفسهم، ولا يجدون ما يجودون به من الأموال.

والجود بالنفس أقصى غاية الجود{ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ } أرفع منزلة وأعلا رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. قال الزجاج: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ.

[1] انظر: شرح العقيدة الطحاوية-ابن أبي العز. ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية-٣/٣٦٠. والحبائك في أخبار الملائك-السيوطي.



وقد يكون ميزان التفاضل بفتح مكة أعظم من غيره، (لأن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء. غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثرة، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال. ذلك متعلق مباشرة بالله، متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب. لا يجد على الخير عوناً إلا ما يستمده مباشرة من عقيدته. وهذا له على الخير أنصار حتى حين تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين[1].

ومن آثار هذه المبادئ العقائدية أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "**إن خير دور الأنصار دار بني النجار ثم عبد الأشهل ثم دار بني الحارث ثم بني ساعدة وفي كل دور الأنصار خير**" فلحقنا سعد بن عبادة فقال أبا أسيد: ألم تر أن رسول الله ﷺ خير الأنصار فجعلنا أخيرا فأدرك سعد النبي ﷺ فقال: يا رسول الله خير دور الأنصار فجعلنا آخرا فقال: "**أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار**" فقول سعد بن عباده رضي الله عنه: [فَجُعِلْنَا آخِرًا] هذا من تأثرهم بأهمية التفاضل والسبق في نصرة دين الله تعالى[2].

إن مما يجب أن تدركه الأمة في تربية جيوشها عقائدياً، أن يقع تفاضل بين جنودها، وأن يكون ميزان التفاضل بينهم فيما فيه السبق والنصرة لدين الله تعالى، والتمسك بأوامره والسعي في تطبيقه، وقد أجاز السلف رحمهم الله تعالى، المفاضلة بين الناس لمن يكون عالما بأحوالهم لينبه على فضل الفاضل ومن لا يلحق بدرجته في الفضل، فيمتثل أمره بتنزيل الناس منازلهم[3].

عاشراً) التحرر من الدنيا وعوائقها:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم التحرر من الدنيا وعوائقها، لأن من علامات صدق الإيمان سلامة المقصد والنيات، وعدم الركون إلى الدنيا، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

[1]) في ظلال القرآن-سيد قطب-٦/٣٤٨٣-٣٤٨٤.

[2]) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب فضل دور الأنصار-برقم (٣٥٠٧) وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري-٧/٤٨٩.

[3]) انظر: فتح الباري-١٢/٩٠.



ففي هذه الآية، أمر الله لرسوله ﷺ بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم، على الانتهاء عما نهوا عنه، من موالاة الآباء والإخوان، ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم، ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا الدنية على وجه التوبيخ والترهيب.

تعتبر محبة الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله الذي نظم حبه في سلك حب الله تعالى شأنه، وحب رسوله ﷺ، تنويهاً بشأنه، وتنبيهاً على أنه مما يجب أن يحب فضلاً عن أن يكره، وإيذاناً بأن محبته راجعة إلى محبة الله ومحبة حبيبه ﷺ، فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما لأجل عداوتهم، فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما[1].

لقد كانت هذه المبادئ مؤثرة في تربية الجنود الأوائل، فكان من حالهم رضي الله عنه، كما وصفه الله بقوله: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة: ٩٢].

الحادي عشر) موازنة المصالح والمفاسد:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم أن يوازن العسكري بين المصالح فيأتيها، وبين المفاسد فيجتنبها، ومن أمثلة هذه الوسيلة التربوية قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾ وقد جاءت هذه الآية موصولة ببيان بعض أحكام الجهاد وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [البقرة: ١٩١].

فالموازنة بين المصالح كما في هذه الآية هي أن: (ابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيمًا على دينه متمسكا عليه، مُحقًّا فيه[2].

ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتلُ الرجال، نبَّه تعالى على أنّ ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله، أبلغ، وأشد، وأعظم، وأطَم من القتل؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾ قال أبو مالك: أي: ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل[3].

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-الألوسي-١٠/٧١-٧٥.

[2] تفسير الطبري -٣/٢٩٢.

[3] تفسير ابن كثير-١/٣٢٧.



الثاني عشر) عدم الاعتماد على الماديات والركون إليها:

من المبادئ العسكرية في ضوء القرآن الكريم ، من أعظم ما يعين العسكري على أداء رسالته سواء في ميادين القتال أو ميادين التدريب والحراسة أن يربى على أن الوسائل المادية إنما هي أسباب لا يعتمد عليها، كما أنه لا يفرط في إعدادها، و الواجب على العسكري في التعامل مع الأسباب أن يعرف فيها ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدرا.

ثانيها: أن لا يعتمد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب[1].

ومن أمثلة هذه المبادئ قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥].

إن مدلول هذه الآية أن الله (يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُددهم ونبههم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين)[2].

[1] القول السديد شرح كتاب التوحيد – (ج ١ / ص ٤٣)

[2] تفسير ابن كثير–٤/٦٦.



فهرس المراجع

القرآن الكريم.

١. الإبانة عن أصول الديانة–الأشعري– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية –ابن القيم–دار الكتاب العربي– بيروت–لبنان–ط:١–١٤٠٨هـ.

٣. الاستراتيجية السياسية والعسكرية – العماد مصطفى طلاس– دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر–دمشق–ط١–١٩٩١.

٤. أضواء البيان–الشنقيطي– دار عالم الكتب–بيروت

٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم – ابن تيمية– تحقيق ناصر العقل–مكتبة الرشد–الرياض–ط١–١٤٠٤هـ

٦. البداية والنهاية– مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية–دار هجر–الجيزة–ط١–١٤١٩هـ

٧. تطور العقائد والاستراتيجيات العسكرية–اللواء الطيار الركن–عبدالرحمن بن حسن الشهري–مكتبة العبيكان–الرياض–ط:١–١٤٢٤هـ

٨. التفسير الكبير–الرازي–دار إحياء التراث العربي.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان–السعدي– تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق –مؤسسة الرسالة–الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ.

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن– مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية–دار هجر–القاهرة–ط:١–١٤٢٢هـ.

١١. جامع الرسائل –ابن تيمية– دار المدني–جدة–الطبعة الثانية–١٤٠٥هـ.

١٢. جامع العلوم والحكم–ابن رجب الحنلي– مصطفى البابي الحلبي–مصر–١٣٨٢هـ.

١٣. الجامع لأحكام القرآن–القرطبي– دار الكتب المصرية–ط:٢–١٣٧٢هـ.

١٤. الجامع لشعب الإيمان–البيهقي–دار الكتب السلفية–بومباي–الهند–ط:١–١٤٠٦هـ.

١٥. الدرر السنية في الأجوبة النجدية–جمع عبدالرحمن بن قاسم–ط:٦–١٤١٧هـ.

١٦. الرحيق المختوم–صفي الرحمن المباركفوري–أولي النهي للإنتاج الإعلامي–١٤٢٢هـ

١٧. روح المعاني –الألوسي– دار إحياء التراث–بيروت–لبنان–ط:٤–١٤٠٥هـ

١٨. سنن ابن ماجه– دار إحياء التراث العربي–ترقيم العالمية.

١٩. سنن الترمذي – دار الكتب العلمية–ترقيم العالمية.



٢٠. السنن الكبرى–البيهقي– المعارف العثمانية–حيدر آباد–الهند–ط:١–١٣٥٦هـ

٢١. السياسة الشرعية–ابن تيمية–وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية–١٤١٩هـ

٢٢. شرح السنة–البغوي–المكتب الإسلامي–دمشق–ط:٢–١٤٠٣هـ.

٢٣. شرح العقيدة الطحاوية–ابن أبي العز الحنفي–تحقيق الألباني–المكتب الإسلامي–ط:٤–١٣٩١هـ

٢٤. الشرح الكبير–ابن قدامه– دار الكتاب العربي–بيروت–لبنان–١٤٠٣هـ.

٢٥. شرح الكوكب المنير–ابن النجار–جامعة أم القرى–ط:١–١٤٠٨هـ.

٢٦. شرح صحيح مسلم– النووي–دار إحياء التراث العربي–بيروت.

٢٧. صحيح البخاري–دار القلم–بيروت–١٩٨٧م–ترقيم العالمية

٢٨. صحيح مسلم– دار إحياء الكتب العربية–١٩٨٥م.

٢٩. عبدالكريم قاسم في يومه الأخير –عقيل الناصري–دار الحصاد–سوريا–ط١–٢٠٠٣م.

٣٠. العسكرية الإسلامية–الرائد بهاء الدين محمد أسعد والرائد جمال يوسف الخلفان–ط١ الزرقاء مكتبة المنار ١٤٠١هـ.

٣١. العسكرية العربية الإسلامية–اللواء الركن محمود شيت خطاب–مؤسسة الرسالة–الطبعة الثانية–١٤٠٥هـ.

٣٢. عقيدة السلف أصحاب الحديث– أبو بكر الإسماعيلي–الدار السلفية–الكويت–ط:١–١٤٠٤هـ.

٣٣. العقيدة العسكرية–اللواء محمد جمال الدين علي محفوظ–دار الاعتصام–القاهرة–١٩٧٦م.

٣٤. علم النفس العسكرية –عبداللطيف حسين فرج وعز الدين جميل عطية–دار الشروق– جدة–الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري –ابن حجر–المكتبة السلفية–القاهرة–الطبعة الرابعة–١٤٠٨هـ

٣٦. فتح القدير–الشوكاني–دار المعرفة–بيروت–لبنان

٣٧. الفكر العسكري ونظريات الحرب–بسام العسلي– العدد الأول ١٩٩٧م –

٣٨. في ظلال القرآن–سيد قطب– دار العلم للطباعة والنشر–جدة–ط:١٢–١٤٠٦هـ

٣٩. كتاب التعريفات–الجرجاني– مكتبة لبنان–بيروت–١٩٨٥م.

٤٠. كتاب الكبائر–محمد بن عبدالوهاب– وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية–١٤٢٠هـ.

٤١. لسان العرب–ابن منظور– دار صادر.



٤٢. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد–ابن قدامة–دار الهدى للنشر والتوزيع–الرياض–ط:٣–١٤٠٨هـ.

٤٣. المبسوط في شرح الكافي–السرخسي–دار المعرفة–بيروت–لبنان–١٤٠٦هـ.

٤٤. المجلة المهنية للقوات الجوية الأمريكية–بالعربية– صيف ٢٠٠٥.

٤٥. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – ط:٢–١٤٠١هـ–مكتبة المعارف–الرباط.

٤٦. المجموع–النووي–دار الفكر–بيروت–لبنان–ط:١–١٤١٧هـ.

٤٧. مدارك التنزيل–النسفي– دار النفائس.

٤٨. مركز الدراسات السّياسة في روسيا, ١٥ مايو, ٢٠٠٠.

٤٩. مسائل الإيمان–القاضي أبويعلى–دار العاصمة–الرياض–ط:١–١٤١٠هـ

٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل–دار الفكر العربي.

٥١. المغني–ابن قدامة– دار عالم الكتب–الرياض–ط:٣–١٤١٧هـ.

٥٢. مقالات الإسلاميين –الأشعري–مكتبة النهضة المصرية–القاهرة–ط:١–١٣٦٩هـ.

٥٣. مقدمة ابن خلدون – الدار التونسية للنشر–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–١٩٨٤م.

٥٤. من هدي سورة الأنفال–محمد أمين المصري–دار الأرقم–الكويت.

٥٥. المنتقى شرح الموطأ–الباجي–مطبعة السعادة–مصر–ط:١–١٣٣٢هـ

٥٦. الموافقات في أصول الشريعة–الشاطبي–دار المعرفة–بيروت–لبنان.

٥٧. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية–محماس بن عبدالله الجلعود–دار اليقين–المنصورية–ط١ –١٤٠٧هـ.

٥٨. موقع عاصفة الصحراء –الملحق ب–خالد بن سلطان.

٥٩. نهاية الإقدام في علم الكلام–الشهرستاني–

٦٠. وفيات الأعيان– ابن خلكان–دار الثقافة–بيروت–لبنان.

٦١. الولاء والبراء –محمد بن سعيد القحطاني–دار طيبة–الرياض–ط١.

